﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾ [الإسراء: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ أحوالِ أهلِ الدّنيا بعد بيانِ المُهلَكين بسببها

بعد أن بيَّنتِ الآيةُ السّابقةُ إهلاكَ اللّه للقرون الذين خالفوا دينَه، وخرجوا عن أمرِه من بعد نوحٍ عليه السلام، ناسبَ أن يَذكُرَ في هذه الآية مصيرَ مَن جاء بعدَ تلك القرونِ، وأنَّه سبحانَه يُعامِلُهُم بعلمِه بجميع طَويّاتِهم من خيرٍ وشرٍّ، بما يكونُ مُرَغِّبًا في الآخرة، مُرَهِّبًا منَ الدّنيا؛ لأنّها المانعةُ مِن اتّباعِ الرُّسُلِ والتَّقَيُّدِ بطاعتِهم، فقالَ تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ....﴾[1]، والآيةُ ناظِرةٌ إلى قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الإسراء: 283].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: جذرُ الكلمة هو (عجل) استعجلتُه؛ أي: حَثَثْتُه، وأَمَرْتُهُ أن يُعَجِّلَ في الأمر، وأعجَلْتُهُ وتَعَجَّلتُ خراجه؛ أي: كلَّفتُه أن يُعجِّلَه[2]، قال تعالى: ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: 150]؛ سبقتموه[3]، وأرادَ في الآية الحياةَ الدّنيا أو الحياةَ الأولى؛ لأنّها تأتي قبل الآخرةِ، وهي ميدانُ الاختبار، والآخرةُ ميدانُ الجَزاء والحساب، وسمّاها بالعاجلة؛ لأنّ النّاسَ يتعجَّلون الغنيمةَ والكسبَ فيها.

2) ﴿يَصۡلَىٰهَا﴾: جذرُ الكلمة هو (صلو)؛ والصَّلا: الحَطَبُ، وصَلَيتَ اللَّحمَ صَليًا: شَوَيتَه، وإذا ألقَيتَه في النّار قلتَ: أصلَيتُه، والصَّلا اسمٌ للوَقود إذا اصطَلَى به القومُ، والصَّلا: النّار، وصَلَى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 371.
(2) الخليل، العين: (عجل).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (عجل).

الكافرُ نارًا فهو يَصلاها؛ أي: قاسَى حَرَّها وشِدَّتَها[1]، وهذا هو المعنى المُرادُ في الآية.

3) ﴿مَذۡمُومًا﴾: جذرُ الكلمة هو (ذمّ)؛ الذّمُّ خلافُ المدحِ ونقيضُه[2]، واستذمَّ إلى فلانٍ؛ أي: فَعَلَ ما يذمُّه عليه[3].

4) ﴿مَّدۡحُورًا﴾: جذرُ الكلمة هو (دحر)؛ دَحَرتُه أدحَرُه دَحْرًا؛ أي: بعَّدتُه ونَحَّيتُه، ودحرَهُ طردَهُ وأبعدَهُ، قال تعالى: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ [الأعراف: 18]، وفي التَّنزيل: ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ﴾ [الصّافّات: 8 - 9][4]، فورودُ الكافر نارَ جهنّمَ هو غايةُ الدّحور والإبعاد عن رحمتِه سبحانَه، ومَدحورًا؛ أي: مَطرودًا[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَن يُقدِّمِ العاجلةَ على الدّينِ يُحرَمِ الآجلةَ يومَ الدّين

تُبيِّنُ الآيةُ إرادةَ نوعٍ منَ النّاس، وهُمُ الّذين يريدونَ الدُّنيا، طالبينَ منافعَها والرّياسةَ فيها، مُبتعدين عنِ الانقياد للأنبياء والعُلماء والدُّعاةِ، والدّخولِ في طاعتِهم والإجابةِ لدعوتِهم؛ إشفاقًا من زوال الرّياسةِ عنهم، فهؤلاءِ يُؤتيهمُ اللّهُ في الدّنيا قَدْرًا كما يشاءُ اللّهُ؛ ثمّ تكونُ عاقبتُهم في الآخرة جهنّمَ يَدخلونَها فَيَصلونَها مَذمومينَ مَدحورينَ مَطرودينَ من رحمة اللّهِ تعالى[6]، والآيةُ في الكفّار، ويدخلُ فيها كلُّ مَنِ اتّصفَ بهذا الوصف[7] على الحقيقة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الاستئناف:

التّاريخُ يُعيدُ نفسَه، والإنسانُ يُهلِكُ نفسَه

قولُهُ تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ استئنافٌ؛ والجملةُ شروعٌ

(1) الخليل، العين: (صلو).
(2) ابن سِيده، المُحكم، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (ذمم).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ذمم).
(4) الرّاغب، المفردات: (دحر).
(5) الخليل، العين: (دحر).
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 316.
(7) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 190.

في بيانِ أحوالِ النّاس في شأن الدُّنيا والآخرة بعد بيان حالِ القرونِ السّابقةِ منهما كذلك، ومقصودُ الاستئناف التَّنبيهُ على العناية بأمر الآخرةِ، وعدم الوقوعِ في مَزلَق العاجلةِ.

بلاغةُ الحصر بطريق المُقابلةِ:

مَن أرادَ العاجلةَ وحدَها تركتهُ الآخرةُ وحدَه

في مقابلةِ قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ قصرٌ بديعٌ، إذ أتى بغير طرق الحصرِ المَشهورةِ، فقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قسيمُ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فلو أرادَهما لم يَصِحَّ التّقسيمُ[1]. "فمعنى: ﴿كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾؛ أنّه لا يُريدُ إلّا العاجِلةَ؛ أي: دونَ الدّنيا بِقَرينةِ مُقابَلَتِهِ بقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾؛ لأنّ هذه المُقابَلةَ تَقومُ مَقامَ الحصرِ الإضافيِّ، إذ ليسَ الحصرُ الإضافيُّ سوى جُملتَين؛ إثباتٍ لشيءٍ ونَفيٍ لخلافِه"[2].

غرضُ أسلوب الشَّرط التَّقابليّ:

مُريدُ العاجلةِ مَحصورٌ فيها، ومُريدُ الآخرة مَشمولٌ بهما

معنى الشَّرط أنْ يقعَ الشَّيءُ لوقوع غيرِهِ[3]؛ أي: يتوقَّف الثّاني على الأوّل[4]، وجاء قولُه تعالى: ﴿مَّن كَانَ﴾ شرطًا للعاقل، قال سيبويه: "(مَنْ)، وهي للمسألَةِ عنِ الأناسيّ، ويكونُ بها الجزاءُ للأناسيّ"[5]، فقرينةُ الكلام في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ تقتضي أنّه لا يُؤتَى شيئًا منَ الآخرة، لأنَّه أراد العاجلةَ فحسب، فمَن كانَت نيّتُهُ مقصورةً على طلب الدّنيا فلا نصيبَ له في الآخرة، وقرينةُ الكلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لا تمنعُ أن يُؤتَى نصيبًا في الدُّنيا[6]، والغرضُ منَ

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 19.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 58 - 59.
(3) المُبرِّد، المقتضب: 2/ 46.
(4) الزّركشيّ، البرهان: 2/ 354.
(5) سيبويه، الكتاب: 2/ 309.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 456.

التّعبير بأسلوب الشّرطِ تحميلُ كلِّ إنسانٍ عاقبةَ اختياره، وفيه دعوةٌ للتّروّيِّ قبل الاختيارِ والنّظرِ في المَآلاتِ وعَواقبِ الأمور.

نكتةُ ذكرِ ﴿كَانَ﴾:

إرادةُ العاجلةِ مَنهجٌ ثابتٌ لا نزعةٌ عابرةٌ

الإتيانُ بفعل الكونِ في قولِه تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ مُؤذِنٌ بأنَّ ذلك ديدنُهُ وقُصارى همِّه، ولذلك جُعِلَ خبرُ ﴿كَانَ﴾ فعلًا مُضارعًا؛ لدلالتِه على الاستمرار زيادةَ تَحقيقٍ لِتَمَحُّضِ إرادتِه في ذلك[1].

دلالةُ التّعبير بالمُضارع ﴿يُرِيدُ﴾:

الدُّنيا دارُ رَهَقٍ لا يصبرُها إلّا أهلُ الرَّهق

عَبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾؛ ليدلَّ على الاستقبال والتّجدُّد في الإرادة؛ إذ إنّ الإرادةَ هنا مَنوطةٌ بتطلُّعات النّفس، وما يُرافقُها من أحداثٍ قد تجدِّدُ تلك التَّطلُّعات، فَتُعَزِّزُها نحو حُبِّ الدّنيا أكثرَ فأكثر، فتكون الإرادةُ مُتجدِّدةً بغيةَ كسب العاجلةِ والاستزادة منها، وقد دلَّ المضارعُ ﴿يُرِيدُ﴾ في قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ على الاستقبال لدخول أداة الشّرطِ ﴿مَّن﴾ عليه[2].

سرُّ اصطفاء التّعبيرِ بـ ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾:

شدّةُ التّنافُسِ في استعجال الأجور والمُلهيات والفجور

﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ صِفةٌ مَوصوفٍ مَحذوفٍ يُعلَمُ مِنَ السّياقِ؛ أي: الحياةَ العاجلةَ[3]، فهي كنايةٌ بالصّفة عنِ الموصوف، ومعناها كقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ [هود: 15]، وفي معنى العاجلة هو استعجالُ الأجور، والتّحصيلُ في الدّنيا على ما يفعلُه الإنسانُ، فيُحقِّقُ بحسَبِ ما يعتقدُ عيشًا رغيدًا في الدّنيا، ولعلّ التّدافُعَ والتّنافُسَ في هذه الحياة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 58.
(2) الرّضيّ، شرح الرّضيّ على الكافية: 2/ 250.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 59.

قائمٌ على الاستزادة منها، فَذَكَرَ العاجلةَ قُبالةَ الآخرة؛ لأنَّها لفظٌ يدلُّ على المطابقة مع الآخرة، فدلَّ على ترجيحِها على الآخرة، واختيارِها، والارتياحِ إليها، والعملِ لابتغاء تحصيلِها.

نكتةُ المُغايرة بالصّيغ بين الشّرط وجوابه:

التّلازمُ بين التّعجيل والإرادة

دلّ قولُه: ﴿عَجَّلْنَا﴾ بالفعل الماضي على الاستقبال؛ لدلالتها على الوعدِ، مع القصد بوقوع ذلك الوعدِ[1]، فالقصدُ من ذلك أنّ الوعدَ أو الوعيدَ مُتحقِّقُ الوقوع، وهو هنا التّعجيل بأجر الدّنيا، فكما أنّه لا شكَّ في حدوث الفعل الماضي الّذي قد حَصَلَ، كذلك لا شكَّ في حدوث فعل التّعجيلِ بجزاء الدّنيا؛ إذ هي بمَنزلةِ الماضي في تحقُّق الوقوعِ، فدلَّتِ المُغايرةُ بين الشّرط وجوابه على أنّ التَّجدُّدَ الحاصلَ في إرادة الدّنيا وملذّاتها يُقابلُه تعجيلٌ من عند اللّه للحصول عليها على قَدر مَشيئةِ اللّه تعالى وتقديرِه سبحانَه، فدلّتِ المُغايرةُ بالفعل على تلازُم التّعجيل بالجزاء مع ما يختارُهُ العبدُ لنفسه بإرادته؛ فقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ دلّ على تلك الإرادةِ المُتجدِّدةِ الّتي سوف تُختَمُ بتعجيل اللّه ما يشاءُ سبحانَه، أو "أنّ المُرادَ التّعجيلُ العرفيُّ، وهو المُبادرَةُ المُتعارَفَةُ؛ أي: أنْ يُعطَى ذلك في الدّنيا قبلَ الآخرة، فذلك تَعجيلٌ بالنّسبة إلى الحياة الدّنيا، وقرينةُ ذلك قولُه: ﴿فِيهَا﴾"[2].

غرضُ إسناد فعل التَّعجيلِ إلى ضمير العظمةِ:

تعجيلُ الدُّنيا مَنوطٌ بإرادةِ الله ومشيئتِه

أُسنِدَ فعلُ التّعجيلِ لضمير العظمةِ (نا) فقال تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾؛ وأرادَ بذلك توكيدَ حصول التّعجيلِ؛ إذ إنّ الوعدَ صادرٌ عنه سبحانَه؛ ومَن أصدقُ مِنَ اللّه قيلًا، وما في ذلك من عظيم شأنِ اللّه، وقدرتِه وعظيم تحقُّقِ مشيئتِه في عباده؛ فتندَرِجُ إرادةُ الإنسان فيها، مُلازمةً لنواياه، وما يُريدُهُ، ليأخذَ حقَّه وجزاءَه، وليس كلَّ

(1) الرّضيّ، شرح الرّضيّ على الكافية: 2/ 221.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 59.

أعمالِهم؛ بل بعضَها الّذي تترتَّبُ عليه الأمورُ المذكورةُ بطريق الأجرِ والجزاءِ من أعمال البرِّ، وقد أُطلِقَت، وأُريدَ بها ثمراتُها؛ فالمعنى: نوصِلُ إليهم ثمراتِ أعمالِهم في الحياة الدّنيا كاملةً[1].

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول:

تطمينُ المتُعجِّلِ استدراجٌ لا إكرامٌ

يدلُّ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ على ما فيه من تحقُّقِ النّفعِ الدّنيويِّ لِمَن أرادَ العاجلةَ، فإنّه لن يُبخسَ حقُّه فيها، ولا يكونُ ذلك إلّا بمشيئة الله، فيكونُ تقديمُ شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾ للاهتمام، ويكونُ كذلك اختيارُ مَنِ اختارَ العاجلةَ مُعجَّلًا له بإرادة الله ومشيئتِه، وأجرُهُ فيها واصلٌ له.

نكتةُ الإطناب بالتَّقييد بالجارِّ والمجرور:

الدّنيا مَحطُّ آمالٍ باليةٍ وأوهامٍ خاويةٍ

قُيِّد الفعلُ بالجارّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾، وهذا الأسلوبُ هو منَ الإطناب؛ إذ كان بالإمكان أن يُقالَ: (مَن كان يريدُ العاجلةَ عجّلْنا له ما نشاءُ)، فدلَّ على استحصالِه الدّنيويِّ بقوله: ﴿عَجَّلْنَا﴾؛ لكنّه ذَكَرَ ﴿فِيهَا﴾ من قبيل الإيغالِ؛ وهو ذكرُ ما يتمُّ المعنى بدونِه؛ لفائدة التّوكيد، فإنّ سرَّ ورود ﴿فِيهَا﴾ هنا إنّما هو توكيدُ المعنى، فلا يكونُ له شيءٌ في سواها؛ أي: في الآخرة.

نكتةُ التّعبير بالاسم الموصول:

لا يعلمُ المُعجِّلَ إلّا اللهُ سبحانَه

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ اسمٌ موصولٌ أفادَ إبهامًا، وهو واقعٌ على ذواتِ ما لا يعقلُ أو على صفات مَن يَعقلُ؛ إذ أُريدَ إبهامُ الشّيءِ على المُخاطَبين؛ فلا يعلمُ ذلك إلّا اللّهُ سبحانَه، أو أنّه يُفيدُ عُمومَ كلِّ شيءٍ ممّا أرادَ اللّهُ تعالى أن يُعجِّلَه للإنسان.

فائدةُ تقييد فعل التّعجيلِ باسمَين موصولَين:

قيّدَ فعلَ التّعجيل بتقييدين في قوله تعالى: ﴿مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 193.

إحـاطـةُ علـم اللـهِ وقيُّومِيَّته بـالمـخـلـوقـات وأرزاقِها

أحدُهما: تقييدُ المُعجَّلِ بمشيئتِه، والثّاني: تقييدُ المُعجَّلِ له بإرادتِه[1]، وقيَّدَ الفعلَ باسمَين موصولَين هما ﴿مَا﴾ و(من)، وفائدةُ هذا التّقييد بيانُ عظيم الإرادةِ الإلهيّةِ، ومشيئتِه سبحانَه، وأنّ كلَّ شيءٍ بقَدرٍ مُحتَّمٍ دقيقٍ لا يعزُبُ عنه مِثقالُ ذرّةٍ من أفعال العبادِ ونيّاتِهم، وما يجولُ في خواطرِهم، فهو سبحانَه يُقسِمُ لهُم بإرادتِهِ ما يشاءُ، مع ما في هذه الأسماء مِنَ العُموم والإبهام.

نكتةُ ذكر المَشيئة والإرادة:

المَشيئةُ عامّةٌ في الأرزاق، والإرادةُ خاصّةٌ بالمَرزوقين

الّذي يُفهَمُ من قولِه تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ عُمومُ المَشيئةِ وخصوصُ الإرادةِ، فإنَّ المَشيئةَ ارتبطَت بغير العاقِل من أمور الأرزاقِ، وأمّا الإرادةُ فاختُصَّت بالعقلاء مِنَ النّاس، فمشيئتُهُ ﷻ عامَّةٌ في الأرزاق، وإرادتُهُ خاصّةٌ في المَرزوقين، وهما مِنَ الألفاظ المُترادِفةِ؛ بمعنى: أنَّه إذا أُطلِقَتِ الإرادةُ في سياقٍ فيُرادُ المشيئةُ والعكس، بينما إذا اجتمعا فيجبُ البحثُ عن فرقٍ بينهما، فتنطبقُ عليهما قاعدةُ: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهذا تفريقٌ سياقيٌّ لا عرفيٌّ.

بلاغةُ البيان بعدَ الإبهام:

تعجيلُ الدُّنيا بإرادةِ الله تحذيرٌ للمُتعجِّل وفتنةٌ للمُؤمن

قولُهُ تعالى: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدلٌ منَ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾، "وهو بدلُ البعض مِنَ الكلِّ: لأنّ الضّميرَ يرجعُ إلى ﴿لِمَن﴾ وهو في معنى الكثرة"[2]، "فضميرُ ﴿لَهُۥ﴾ عائدٌ إلى ﴿لِمَن﴾، وهو عامٌّ لكُلِّ مُريدِ العاجلة؛ أي: عجَّلْنا لِمَن نريدُ منكُم، ومفعولُ الإرادة محذوفٌ دلَّ عليه ما سبقَه؛ أي: لِمَن نريدُ التّعجيلَ له[3]، وفيه خصوصيَّةُ البيانِ بعدَ الإبهام، ولو كانَ المَقصودُ غيرَ ذلك لَوَجَبَ التّصريحُ به[4]، وجاءَتِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 613.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 133.
(3) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/ 291.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 59.

الضّمائرُ هنا على اللّفظ لا على المعنى، فقيّدَ المُعَجَّلَ بإرادتِه، فليس مَن يريدُ العاجلةَ يَحصُلُ له ما يُريدُهُ، ألا ترى أنّ كثيرًا مِنَ النّاس يَختارون الدّنيا، ولا يَحصُلُ لهم منها إلّا ما قسمَهُ اللّهُ لهم، وكثيرًا منهُم يَتَمَنّونَ النَّزرَ اليسيرَ فلا يحصُلُ لهم، ويَجمَعُ لهم شَقاوةَ الدّنيا وشَقاوةَ الآخرة[1]؛ فدلَّ قولُه: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ على أنّه لا يحصُلُ الفوزُ بالدّنيا لكُلِّ أحدٍ؛ بل كثيرٌ مِنَ الكفّارِ والضُّلّالِ يُعرِضون عنِ الدّين في طلب الدّنيا، ثُمّ يَبقونَ مَحرومينَ عنِ الدّنيا وعنِ الدّين، وهذا أيضًا فيه زجرٌ عظيمٌ للّذين يَترُكون الدّينَ لطلب الدّنيا[2].

دلالةُ صيغة المضارع في فِعلَي المَشيئة والإرادة:

تـجـدُّدُ المشيئة والإرادة كامِنٌ في آثارها المُشاهَدة

يدلُّ الفعلُ المضارعُ في قوله تعالى: ﴿مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ على أزمنةٍ عديدةٍ، أشهرُها دلالتُه على الحال والاستقبال[3]، كما هنا، فاللّهُ تعالى يقسِّمُ أرزاقَه مقدارًا ونوعًا بمشيئتِه، فيوزِّعُ ذلك على الأفراد بإرادتِه سبحانَه، والمضارعُ يفيدُ التَّجدُّدَ والاستمرارَ مع الزّمن، وهذا التَّجدُّدُ معلومٌ عندَه سبحانَه في عالم غيبِه منذ أن خلقَ الأرضَ فقدَّرَ فيها أقواتَها وأرزاقَها وأقدارَ النّاس، ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ بصيغة الماضي ليدلَّ على العلم والتّقدير المُسبَقِ منه سبحانَه، فالتَّعبيرُ بصيغة المضارع لبيان تجدُّد آثارِ المشيئةِ والإرادة فيما يراه النّاسُ.

دلالةُ استعمال حرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾:

لأهـل الـدّنـيـا رُتبتان؛ مُؤقَّتةٌ فانيةٌ ومُهلِكةٌ باقيةٌ

حرفُ العطف ﴿ثُمَّ﴾ يفيدُ التّرتيبَ والتّراخي؛ فعطف جملة ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ بحرف ﴿ثُمَّ﴾ لإفادة التّراخي الرُّتَبيِّ[4]؛ أي: إنّه سيلقى حسابَه المُقدَّرَ عليه، وهو نصيبُه منَ العذاب مذمومًا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 28.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 317.
(3) الزّمخشريّ، المفصّل: 2/ 137.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 60.

مخذولًا، فاللّهُ تعالى يُمهِلُ أهلَ الأهواء والمَفاسدِ في الدّنيا حتّى تأتيَهُم السّاعةُ، فينالوا حسابَهم وعقابَهم، فمُؤثِرُ الحياة الدّنيا له رتبتان؛ رتبةٌ في الدّنيا الفانيةِ، ورتبةٌ على الضّدِّ في الآخرة الباقية.

دلالةُ التّعبير بالماضي ﴿جَعَلْنَا﴾:

في الآخـرةِ قَطعٌ للآمال وحَسمٌ للأماني

جاءَ التَّعبيرُ بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ لفعلِ الجعلِ؛ لبيان علمِ اللّه تعالى الأزليِّ، فلمّا خلقَ الأرضَ، وقدَّرَ فيها أقواتَها، قدَّرَ لهؤلاء الّذين لا يؤمنون، والّذين يختارونَ العاجلةَ، أرزاقَهم في الدّنيا ثمّ مصيرَهُم في الآخرة، فقد كانَ ذلك في علم الغيب عندَه سبحانَه، فالماضي دلَّ على تحقُّقِ وقوع الفعل، وفي مقابلة صيغةِ الماضي ﴿جَعَلْنَا﴾ بعد المضارعِ ﴿نَشَآءُ﴾ و﴿نُّرِيدُ﴾ دلالةٌ على الدّوام والاستقرارِ وقطع الأملِ مِنَ المَجعول في الآخرة.

غرضُ إسناد فعلِ الجَعل إلى ضميرِ العظمة:

وعيدُ الله عظيمٌ بعظمةِ قُدرته

فعلُ ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: صيّرَنا، وإسنادُ الفعل إلى ضمير العظمةِ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾؛ للدّلالة على معنى العظمةِ، المُتضمِّنِ شديدَ الوعيد؛ فاللّهُ تعالى هو مَن تكفَّلَ بذلك الجعْلِ، ونسبَهُ إلى نفسِه فلم يكتفِ بضمير التَّكلُّم؛ بل بضمير العظمةِ، وفي ذلك ما فيه من داعي التَّوعُّدِ بأولئك الّذين أرادوا العاجلةَ، واختاروا الحياةَ الدّنيا على عظيم ثوابِ الدّارِ الآخرة.

نكتةُ تقديمِ المَفعول الثّاني على الأوّل:

دَفـعُ تـوهُّـمِ الـنَّـجـاةِ من جهنّمَ لِمَن أُوتي الدُّنيا

قُدِّمَ المفعولُ الثّاني ﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ على المفعول الأوّل ﴿جَهَنَّمَ﴾[1]؛ للاهتمام ومَزيدِ الوعيدِ وتحقيقِ العذابِ، فإنَّ مَن أوتي في الدُّنيا من أنواع النِّعمِ قد يظنُّ أنَّ الآخرةَ ستكونُ كذلك، فأشعرَ التّقديمُ بدفعِ هذا الوهم؛ فالمعنى: جعلنا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 28.

ذلك خاصًّا لِمَن أرادَ العاجلةَ، أو لِمَن أرادَ ثوابَ الدّنيا، مقصورًا عليه وعلى أمثالِه، من أهل هذه الإرادةِ أو النّيّةِ نفسِها.

سرُّ اصطفاء لفظ ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون مُرادفاتِها:

جهنّمُ شديدةُ النّار عميقةُ القَعر

للنّار أسماءٌ كثيرةٌ من مثل: الجحيم، وجهنّم، ولظى، والسّعير، وسَقَر، والهاوية، واختيرَ اسمُ ﴿جَهَنَّمَ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾، وهي من أسماء النّارِ المشهورةِ الواردةِ في كتاب اللّه تعالى؛ لدلالته على بُعدِ قعر النّارِ وعُمقِه، فناسبَ ذلك الوصفُ جزاءَ مَن أرادَ العاجلةَ دون الآخرة.

سرُّ التّقييدِ بجملة ﴿يَصْلَىٰهَا﴾:

عاقبةُ دخولِ النّار صَليٌ مُحرِقٌ

قولُهُ تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾، فجملةُ ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ بيانٌ أو بدلُ اشتمالٍ لجملةِ ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾؛ فتُبيِّنُ للسّامع حالتَه، إذ جُعِلَت جهنَّمُ له؛ فقوله: ﴿يَصْلَىٰهَا﴾؛ أي: يُحرَقُ بها ويُشوَى لحمُه فيها، فبعدَ أن قال: ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ بيّنَ صفةَ ذلك الجعل؛ فقال: ﴿يَصْلَىٰهَا﴾، يُقالُ: صَليَ النّارَ إذا أصابَهُ حَرقُها[1].

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَصْلَىٰهَا﴾:

تصويرُ عذاب النّار ترهيبٌ قاهِرٌ

أفادَ المضارعُ في قوله تعالى: ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ تصويرَ تجدُّدِ العذابِ في جهنّمَ، وأنَّه عذابٌ مُستمرٌّ مُتجدِّدٌ، إذ يبقى الكافرُ الدُّنيويُّ في عذاب جهنّمَ يتجدَّدُ له من أنواع العذابِ ما لا يُتوقَّعُ، ويبقى يتجدَّدُ جلدُهُ، كلّما نضجَ بُدِّلَ بجلدٍ جديدٍ ليذوقَ العذابَ.

دلالةُ ذكر الذَّمِّ والدّحر:

الجمعُ بين العذاب المَعنويِّ والعذاب الدّائمِ

قولُهُ تعالى: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ تضمَّنَ ذكرَ حالَين من ضمير الرّفع في ﴿يَصْلَىٰهَا﴾، وقولُهُ: ﴿مَذْمُومًا﴾ فيه إشارةٌ إلى الإهانة والذَّمِّ، وقولُهُ: ﴿مَّدْحُورًا﴾ فيه إشارةٌ إلى البُعدِ والطّردِ عن رحمة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 60.

اللّه، وهي تُفيدُ كونَ تلك المَضَرَّةِ خاليةً عن شَوب النَّفعِ والرَّحمةِ، وتفيدُ كونَها دائمةً وخاليةً عنِ التَّبدُّلِ بالرّاحة والخلاصِ[1].

سرُّ تقديمِ الذَّمِّ على الدَّحر:

الإهـانـةُ حـالٌ دائـمـةٌ بالـدَّحر عنِ الرَّحمة

قولهُ: ﴿مَذْمُومًا﴾ إشارةٌ إلى الإهانة، وقولهُ: ﴿مَّدْحُورًا﴾ إشارةٌ إلى البُعدِ والطّردِ من رحمةِ اللّه[2]، والإنسانُ إذا ذُمَّ فإنَّه يَبحثُ عن مكانٍ آخرَ يجدُ فيه راحتَه وطمأنينتَه، فإذا بحثَ لم يجدْ إلّا الطَّردَ، فأكَّدَ الدَّحرُ معنى الإهانةِ، وأنشأَ معنى البقاءِ والاستمرارِ، ولذلك قُدِّمَ الذَّمُّ على الدَّحر.

بديعُ جناس الاشتقاق:

مَـن خـذلَـه اللّه فـقـدِ اسـتـدرجَـه بما يُحبُّ

أفادَ جناسُ الاشتقاق بين ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ و﴿عَجَّلْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ أنّ الاستدراجَ في الإمداد من شهوات الحياة الدُّنيا؛ فاللّهُ تعالى يُعجِّلُ لِمَن أرادَ العاجلةَ، وهي الدّنيا الّتي فيها ما يشاءُ اللّهُ منَ الرّزق والشّهوات والأهواء، وما شاءَ العبدُ بحسب مَشيئةِ اللّه سبحانَه، ويُؤخِّرُ النّعيمَ المُقيمَ لِمَن أرادَ الآخرةَ، فتكونُ دلالتُها على أنَّ الجزاءَ في الدّنيا يكونُ من جنس الأعمال والنّيّات.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإرادةُ والمَشيئةُ:

المَـشـيـئـةُ تـعـني الإيـجـادَ، وأمّـا الإرادةُ فهي طلبُ الشّيء

المَشيئةُ في الأصل مأخوذةٌ منَ الشّيء: وهو اسمٌ للموجودِ، وهي كالإرادة عند أكثر المُتكلِّمين؛ وإنْ كانتا في أصل اللّغةِ مُختلِفتين، فإنّ المَشيئةَ تعني الإيجادَ، والإرادةَ طلبُ الشّيء، وفي غالب الاستعمال القرآنيِّ إذا أُضيفا إليه تعالى يكونان بمعنًى واحدٍ؛ لأنَّ الإرادةَ للّه تعالى من ضرورتها الوجودُ لا محالةَ، والفرقُ بينَهما في حقّ العباد.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 316.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 29.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»